Ideas from thoughts of the martyr Morteza Motahhari

Assistant Lecturer. Abbas Jassim Nasser (*)
The University of Basrah
Basrah and Arabian Gulf studies Center

Abstract:

The Martyr Murtaza Motahhari was born in February 1919 in Fereman in the Iranian Government. In 1931 he went to the holly Mashhad to study. When he became seventeen years old,

He went to the holly Qum to continue his studies.

In 1954 he went to Tehran to teach in the universities for twenty-two years. On the first of April in 1979, he was killed by the opposition of the Islamic republic in Tehran.

Murtaza Motahhari wrote many books These books are full of different subjects. He analyzed the revolutionary religious thinking. He thought that Islam is a religion for Organization I. e. it organizes life simply and easily.

Freedom,- for the writer - is very essential. For him Freedom. is depended on two dimensions.

The first one is forming. The second one is a freedom which is essential to organize society. Man – for the writer – possess self-dignity and represents justice.

Keywords: Thoughts of Martyr Murtaza Motahhari; Husseini councils, human society, the veil philosophy, the highness of women, family ties

* Email: almawlaali@yahoo.com

قبسات من فكر الشهيد مرتضى مطهري

م.م.عباس جاسم ناصر (*)
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المستخلص:

ولد الشهيد مرتضى مطهري في شباط ١٩١٩م، في مدينة فريمان بمحافظة خراسان الإيرانية، وفي عام ١٩٣١ هاجر إلى مدينة مشهد المقدسة التابعة لمحافظة خراسان طلباً للعلم، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره غادر مشهد إلى مدينة قم المقدسة وتتلمذ على يد أساتذة معروفين في الفقه والأصول، الفلسفة والعرفان والأخلاق.

وفي عام ١٩٥٤م هاجر إلى طهران للتدريس في جامعتها لمدة اثنين وعشرين عاماً،وفي الأول من نيسان من عام ١٩٧٩م قضى شهيداً على أيد الجماعات المعارضة لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وللشهيد مؤلفات عديدة مفهومة من جميع أفراد المجتمع، وتمتاز بالتنوع وسعة الموضوعات، ويعد الشهيد مطهري من خلال مؤلفاته محللا للفكر الديني الثوري، ومؤسساً للأرضية السياسية للثورة الإسلامية. يرى الشهيد مطهري إن الإسلام هو دين تنظيمي، أي يُنظم الحياة، وهو تنظيم متوازن للمجتمع، لا يذهب إلى الإفراط ولا إلى التفريط.

تمثل الحرية ركنا من الأركان التي تبنى عليها نظرة إلى الإنسان وتتجلى الحرية الإنسانية في فكر الشهيد مطهري في بعدين: **الأول:** البعد التكويني، الذي هو قدرة الإنسان على الاختيار بين الخير والشر وتحمله مسؤولية الأمانة التي أوكلها الله إليه لخلافته في الأرض، **والثاني:**الحرية بوصفها ضرورة يجب على النظام الاجتماعي أن يحميها ويرعاها.

يتمتع الإنسان في رؤية الشهيد مطهري بكرامة ذاتية بأصل الخلقة، ويمثل العدل واحدًا من الهموم الفكرية له **(رحمه الله)** على المستوى العقدي، وكذلك على المستوى الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الشهيد مطهري، المجالس الحسينية، المجتمع الإنساني ، فلسفة الحجاب، رفعة المرأة ، الروابط الأسرية.

* Email: almawlaali@yahoo.com

المقدمة:

الحديث عن الشهيد مرتضى مطهري يمكن أن يوجه إلى جوانب كثيرة؛ لأن هذا الرجل له جوانب متعددة في نشاطاته، فيمكن أن يدرس فيلسوفاً، ويمكن أن يدرس مفكراً، ويمكن أن يدرس ثورياً، ويمكن أن يدرس مربياً اجتماعياً، ويمكن أن يدرس مصلحاً دينياً.

ربما تكون لكل واحدة من هذه العنوانات عنوانات فرعية يمكن أن تكون بحد ذاتها دراسات مستقلة عن هذا الرجل الذي ترك تراثاً غنياً.

سيكون وبلا شك أصعب هذه الميادين هو:

دراسة الرجل مصلحاً؛ لأن الإصلاح يصطدم مع رغبات سائدة يتوجه المصلح من أجل تغييرها وإصلاحها.

الإصلاح الاجتماعي يواجه عادات وتقاليد يملك بها الناس، وبالتالي سيخلق له أعداءً تمسكوا بهذه التقاليد.

وكذلك إصلاح الفكر الديني؛ لأنه يواجه مفاهيم تعلق بها الناس ربما على مستوى الاعتقاد، يرى فيها خطأً يحاول تصحيحه، ومن الطبيعي أن الناس إذا آمنت بأشياء تراها مسلمات في الفكر يصعب أن تقبل لها شيئاً من النقد، لذلك كان أصعب جانب يدرس في حياة الشهيد مطهري هو جانب الإصلاح، ومع ذلك سوف يبقى الجانب الأهم في حياته (رحمه الله) وكل مصلح هو الجانب الإصلاحي.

والمصلح . وخاصة على مستوى إصلاح الفكر الديني . يضحي ربما بسمعته، إضافة إلى جهده وعمره، وبحق أن الشهيد مطهري في طليعة أولئك المصلحين.

وجاء هذا البحث للوقوف على قبسات من فكره الإصلاحي على المستوى الديني، وكذلك على المستوى الاجتماعي، وقطرات من بحر كتابات هذا المفكر الإسلامي الذي أثرى المكتبات بفكره الأصيل، علّ القارئ الكريم ينتفع به ويكون مفتاحاً له للولوج إلى ما كتبه الشهيد مطهري والاستنارة بأفكاره، والله ولي التوفيق.

لمحة من حياة الشهيد مرتضى مطهري :

المولد والنسب:

ولد الشهيد آية الله مرتضي مطهري في شباط ١٩١٩م، في مدينة فريمان بمحافظة خراسان[١] الإيرانية، وكان أبوه المرحوم الشيخ محمد حسين مطهري عالماً وزاهداً ومخلصاً له الأثر الكبير في بلورة الشخصية المعنوية لولده الشهيد، حيث يقول عن والده: «إن إيمان أبي وتقواه وعمله الصالح أنار لي الطريق»[٢].

الدراسة:

في عام ١٩٣١م هاجر الشهيد مطهري إلى مدينة مشهد المقدسة التابعة لمحافظة خراسان طلباً للعلم، فدرس فيها مقدمات العلوم الإسلامية، وكان(رحمه الله) منذ شبابه يميل إلى الفلسفة، وقد تأثر بشخصية الميرزا مهدي شهيدي مدرّس الفلسفة الإلهية . آنذاك في الحوزة العلمية في مدينة مشهد المقدسة.

وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره غادر مشهد إلى مدينة قم المقدسة وتتلمذ على يد أساتذة معروفين، مثل آية الله السيد محمود المحقق، وآية الله السيد محمد حجت، وتبحر هناك في علمي الفقه والأصول.

وكذلك درس الفلسفة والعرفان والأخلاق عند الإمام الخميني(رحمه الله)وتأثر به كثيراً.

وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره بدأ يدرّس العلوم العقلية، وطالع عدداً من الكتب التي كانت تتناول الفلسفة المادية مما مكّنه فيما بعد تأليف كتاب (أصول الفلسفة والمدرسة الواقية)، حيث فنّد فيه فلسفة المادية الديالكتيكية[٣].

وفي عام ١٩٥٤م هاجر إلى طهران وبدأ يلقي محاضرات في الفلسفة الإلهية، و في عام ١٩٥٥ نشر أول مقال في مجلة الحكمة، وفي العام نفسه دعته جامعة طهران للتدريس في كلية المعارف الإسلامية فاغتنم الفرصة وظل يدرس الفلسفة والحضارة والمعارف الإسلامية

لمدة اثنين وعشرين عاماً، حيث ظل لغاية عام ١٩٧٧م يواصل تحقيقاته في المسائل الاعتقادية والاقتصادية والاجتماعية(٤).

الاستشهاد:

بعد أقل من أربعة أشهر على انتصار الثورة الإسلامية في إيران . أي في الأول من نيسان من عام ١٩٧٩مـ قضى شهيداً على أيد الجماعات المعارضة لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران (٥).

مؤلفاته:

لكي نتعرف على كتب العلامة المطهري وتأليفاته القيمة، لابد من الوقوف على ما تمتاز به كتبه وهي:

١. كانت مؤلفاته مفهومة من جميع أفراد المجتمع، لأنه كان عندما يكتب في موضوع معين فأنه يأخذ بنظر الاعتبار استعدادات الناس على تقبل ما يكتب، لهذا نجده يبتعد عن استعمال الألفاظ والمصطلحات الغامضة، بالإضافة إلى تجنبه الإطالة والتفصيل.

٢ . تنوع وسعة الموضوعات التي تناولها في كتبه ومؤلفاته.

٣ . كانت كتاباته إشباعا لاحتياجات مجتمعنا المتأزم الآيل إلى السقوط آنذاك.

٤ . كان الشيء الغالب على أكثر مؤلفاته هو الأسلوب الجيد المحقق، بالإضافة إلى الجوانب المتعددة التي تناولتها بحوثه.

٥ . وقوع العلامة على المعاني العميقة للمطالب التي كتبها أو ألقاها، ثم قيامه بهضمها والإحاطة بجميع جوانبها.

٦ . أعتُبِر العلامة المطهري من خلال مؤلفاته محللا للفكر الديني الثوري، ومؤسساً للأرضية السياسية للثورة الإسلامية.

وفيما يأتي عرض إجمالي لمؤلفاته التي ترجمت إلى اللغة العربية:

١. التعرف على القرآن

٢. في رحاب نهج البلاغة

٣. الإنسان والقضاء والقدر
٤. نهضة المهدي عليه السلام في ضوء فلسفة التاريخ
٥. الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري
٦. الإنسان والإيمان
٧. المجتمع والتاريخ
٨. الإنسان في القرآن
٩. العدل الإلهي
١٠. الدوافع نحو المادية
١١. إحياء الفكر في الإسلام
١٢. الإنسان الكامل
١٣. الملحمة الحسينية
١٤. قصص الأبرار
١٥. مقدمة على أصول الفلسفة للعلامة الطباطبائي
١٦. نظام حقوق المرأة في الإسلام
١٧. التعليم والتربية في الإسلام
١٨. التوحيد
١٩. النبوة
٢٠. المعاد
٢١. الإمامة والزعامة
٢٢. الإنسان والمصير
٢٣. الحركات الإسلامية في القرن الأخير
٢٤. الإمدادات الغيبية في حياة البشرية
٢٥. قيم النهوض

٢٦.نقد الفكر الديني
٢٧.السلوك الجنسي في الإسلام والغرب
٢٨.مبدأ التضاد كما تصوره الفلسفة الإسلامية[٦].

فكر الشهيد مطهري في عطاء المجالس الحسينية:

تجلى التعبير عن عاشوراء بأساليب وأشكال مختلفة، لعلّ من أبرزها المجالس الحسينية، حيث يقوم الخطيب أو العالم بسرد وقائع هذه الحادثة و الإسهاب في عرض موضوعاتها، وللاستزادة في التشويق و الانجذاب، كان يطلق العنان لخياله الروائي ليحلّق في آفاقها دونما حسيب أو رقيب، فيدخل عليها الكثير من الزيادات و المبالغات، مما دفع بعض العلماء إلى التصدي لهذه الظاهرة، ولعل كتاب (الملحمة الحسينية) للشهيد مطهري الذي يقع في ثلاثة أجزاء. من الكتب التي عالجت هذه الظاهرة معالجة وافية، و انطلاقاً من رؤية عميقة، ولذلك سنحاول التوقف عند أهم المحطات التي ذكرها الشهيد في كتابه آنف الذكر:

الانحرافات في السيرة وسبل مقاومتها:

يحذّر الشهيد في مستهل كتابه (الملحمة الحسينية) من الانحرافات التي أدخلت على عاشوراء، باعتبار ما ينطوي على هذا السلوك من سلبيات في حركة الأمة و الشعب، وما تخلفه من تداعيات في النظرة إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام، حيث يقول: «حادثة كربلاء شئنا أم أبينا حادثة اجتماعية كبرى بالنسبة لشعبنا وأمتنا، أي أنها حادثة مؤثرة للغاية في تربية أهلنا وعاداتهم وسلوكهم»[٧].

ولذلك ترى الناس يندفعون لإحياء هذه الذكرى بشكل طوعي ومن تلقاء أنفسهم، وفوق ذلك يبذلون الكثير من الجهد و المال من أجل الاستماع إلى هذه الحادثة وما يرتبط بها من قضايا : «إنها الحادثة التي تدفع بشعبنا بشكل آلي و دون تدخل أية قدرة خارجية إلى أن يتوجه الملايين منه لصرف ملايين الساعات من جهدهم وإنفاق الملايين لسماع ما يرتبط بها من قضايا.. »[٨].

وانطلاقاً من أهمية هذه الواقعة و خشية الانحراف عن مسارها الحقيقي، يدعو الشهيد إلى التمسك بمضمون هذه الحادثة، وعرضها كما هي بكل مفرداتها الواقعية، ويحذر من الانزلاق في خيالات الوهم لما يجلب من ضرر على الأمة ، فيقول : «إن هذه القضية ينبغي عرضها كما هي دون زيادة أو نقصان، لأنه في حالة أي تدخل أو تصرف في اللفظ أو المعنى مهما كان بسيطاً، سيرتب بلا شك حرف اتجاه الحادثة عن مسارها، و بالتالي إلحاق الضرر بأمتنا بالتأكيد بدلاً من إفادتها منها»(٩).

محملاً مسؤولية ما يحصل للعلماء والرواة وحتى عامة الناس، حيث يقول و بكل مرارة: «إن التحريفات التي أصابت هذه القضية على أيدينا كانت كلها باتجاه التقليل من قيمة الحادثة ومسخها و تحويلها إلى حادثة لا طعم لها ولا معنى، و المسؤولية هنا تقع على الرواة والعلماء، كما تقع على العامة من الناس»(١٠).

ولم يقتصر مطهري في حديثه على مظاهر التحريف المعاصرة بل يعود بالذكرى إلى الميرزا حسين النوري أستاذ المرحوم الشيخ عباس القمي، الذي يتطرق إلى ما ألصق بكربلاء من أكاذيب دون أن يقوم أحد بفضحها، و لفت إلى المنحى الخطير الذي لحق بهذه الواقعة نتيجة تلك الالصاقات، فالميرزا النوري يدعو إلى البكاء على الحسين، ولكن ليس بسبب ما ناله جسده الطاهر من سيوف ورماح، بل بسبب الأكاذيب التي ألصقت بالواقعة(١١).

والشهيد مطهري إنما يحمّل مسؤولية ما يحصل في هذه الذكرى للناس باعتبارين:

الاعتبار الأول: إن النهي عن المنكر واجب على الجميع، وعليه فإن من يعرف بأن بعض ما يقال على المنابر ليس واقعيا ينبغي له عدم الجلوس في مثل هكذا مجالس، لأن ارتقاء المنبر عمل إعلامي مقدس يعنى ببيان الحقائق على المستوى الديني والتاريخي وغيرها من الموضوعات.

الاعتبار الثاني: لابد من مجانبة هذه الرغبة لدى الكثير من الناس والخطباء، التي تتوقع من المجالس الحسينية أن يغلب عليها طابع الحماسة أكثر من غيره، أو كما يصطلح عليها البعض (كربلاء ثانية)، فالخطيب المسكين تراه أحياناً يقع في حيرة إذا ما تكلم الصدق، وقال

الحقائق من دون زيادة أو نقصان على المنبر الحسيني، إذ إن نتيجة ذلك ستكون بأن ينعت مجلسه بالمجلس البارد وغير الحماسي ، وبالتالي عدم رغبة الناس بدعوة هذا الخطيب مجدداً، مما يضطره إلى اختراع بعض القصص الخيالية لإدخال الحرارة إلى مجلسه(١٢).

لهذا دعا الشهيد مطهري الناس إلى مقاومة هذه الرغبة وإثبات ذلك بسلوكهم، وذلك بعدم تشجيع مثل هذه الظاهرة لدى خطيب المنبر الحسيني، الذي يريد تحويل مجلسه إلى كربلاء ثانية بأي ثمن كان(١٣).

وتكمن معالجة ذلك في استماع الناس إلى المأتم الحسيني الصادق ، حتى تتسع معارفهم، وينمو مستوى التفكير لديهم، و يعرفوا بأن اهتزاز روحهم مع أية كلمة من كلمات المأتم الحسيني، يعني تحليقها وانصهارها مع روح الحسين بن علي عليه السلام، وبالتالي فإن دمعة واحدة، إذا ما خرجت من مآقيهم كافية لمنحهم ذلك المقام الكبير الذي ناله أنصار الحسين عليه السلام، أما الدموع التي لا تنبع من هذا الأحاسيس فلا ترقى إلى ذلك المستوى(١٤).

يمكن القول، إن هذه الرغبة لرؤية واقعة كربلاء بشكلها المأساوي المجرد من العِبرة من طرف الناس، كانت هي الدافع لاختلاق بعض القصص تلبية لهذه الرغبة، وهذا النمط من التوجه هو السبب في الخروج من سياق الوعظ والتحليق في خيال الفاجعة، ومن الواضح أن الشهيد لم يقتصر في إلقاء تبعات ما وصلت إليه المجالس الحسينية على الناس فحسب، بل يغمز من قناة الخطباء والعلماء، حيث يقول : «فمن أجل شدّ الناس إلى صورة الفاجعة التاريخية وتصويرها المأساوي، و دفع الناس إلى البكاء والنحيب ليس إلا كان الواعظ على الدوام مضطراً للتزوير والاختلاق»(١٥).

ولذلك يعتبر الشهيد مطهري أن إطلاق العنان للخيال إنما يخفضان من شأن الإمام الحسين عليه السلام ومقامه، ولا يرفعان من شأنه، ومن اللافت أن الشهيد يُخضع ما كان يدور في كربلاء إلى المنطق والعقل، فيجري العمليات الحسابية، ويعرض الحادثة أولاً، ثم يبيّن معايبها بأسلوب منطقي عقلاني مدعم بالوثائق التاريخية، والبحث الجاد عن المكان والزمان لدحض المزاعم والاختلاقات التي دخلت إلى صلب عاشوراء(١٦).

وهنا ينتقد الشهيد هذه الظاهرة، مستشهداً بكلام الميرزا حسين النوري الذي يرى أن الأمور وصلت إلى وضع مأساوي، فيدعو إلى البكاء على الحسين عليه السلام لكثرة الاختلاقات التي تنسب إلى واقعة عاشوراء، حيث يقول: «إذن لا بد أن نصدق كلام الحاج نوري عندما يقول، إذا أراد أحد أن يبكي أبا عبد الله الحسين اليوم، ويذكر مصائبه فعليه أن يبكي مصائب الحسين الجديدة، أن يبكي حسيناً لكثرة الأكاذيب والاختلاقات التي نسبت إلى واقعة عاشوراء وشخصية الإمام»(١٧).

وهذا لم يكن مرده إلى ضعف الأسانيد، وإلى النقص في الوثائق: يقول الشهيد(رحمه الله) « إن الشيء الذي يحزّ في القلب هو كون واقعة كربلاء من أغنى الوقائع التاريخية المدعمة بالوثائق الأسانيد المعتبرة، في السابق كنت أتصور أن سبب كل هذه الأكاذيب التي ألصقت بهذه الحادثة، يكمن في عدم معرفة الوقائع الصحيحة للواقعة، ولكنني بعد المطالعة والتدقيق لاحظت أنه ربما كانت واقعة كربلاء واحدة من أندر الوقائع التاريخية المدعمة بكل تلك الأسانيد التاريخية الباقية منذ ذلك التاريخ البعيد، أي منذ أربعة عشر قرناً خلت»(١٨).

نظرة الشهيد مطهري إلى المجتمع الإنساني:

لقد أخذ هذا الموضوع حيزاً كبيراً عند العقل الجمعي لدارسي الفكر السياسي، حيث أنهم قد انشغلوا في بحث السبب الأساسي لاجتماع الناس بعضهم ببعض وعدم عيشهم فرادى في هذه الحياة، فما هو الدافع لهذا الاجتماع ؟ كما أنهم تساءلوا حول ما إذا كان وجود الحكومة (سلطة عليا تفرض إرادتها على غيرها من الإرادات و تحفظ النظام ...) أمرا ضرورياً أم لا؟ وفي هذا المجال ظهرت نظريات عدة، أبرزها اثنتين:

النظرية الأولى: ترى أن الإنسان عبارة عن كائن اجتماعي بطبعه، أي أنه جُبِلَ على الاندماج مع أبناء جنسه لتشكيل مجموعة من الأفراد (مجتمع)، أي أن الإنسان بطبعه يرغب ويسعى إلى مشاركة غيره بالحياة والعيش.

النظرية الثانية: ترى إلى أن الإنسان اجتماعي بالضرورة وليس بالطبع، أي انه لم يكن بطبعه يرغب في الاندماج مع غيره، بيد أن الضرورة تلجئُه إلى ذلك، فالحياة ومتطلباتها لا يُمكن

للإنسان أن يتعامل معها بمفرده، الأمر الذي جعله يتعاون مع غيره عليها لضمان الحياة واستمراريتها ، و لو تمكن الإنسان فرضاً من ضمان مستلزمات حياته ومتطلباتها بمفرده، فإنه لن يتوانى عن الانعزال عن غيره و العيش وحيداً .

والشهيد مطهري يؤمن بالنظرية الأولى، أي أن الإنسان اجتماعي بطبعه، و هو يؤكد أن هذه السمة التي يتمتع بها الإنسان، في كونه يرغب في الاندماج مع غيره و تكوين المجتمع، متأتية من إرادة الإنسان ، فهو اجتماعي بالطبع ، أي ذو طبيعة اجتماعية[١٩]، ويرفض فكرة أن اجتماع الإنسان بغيره ناتج عن أمر قسري، دون أي اختيار من قبله، و يشبهه باجتماع النحل و النمل، لأن الإنسان عندما اجتمع، فهو قد أدرك ضرورة هذا الفعل، وعرِف ما له من إيجابيات فعمد إليه بمحض إرادته[٢٠].

يدرك مطهري أن الاجتماع الإنساني له العديد من المزايا المهمة، التي حملت الأفراد سابقاً إلى التهيكل معاً بغية تشكيل وحدة بنيوية، لذا فهو يُشبّه المجتمع بالجسد الإنساني، يقول(رحمه الله): «وإن من أفضل التشبيهات الجامعة، هو تشبيه المجتمع بالجسم البشري ، مثلما أن الجسم يتألف من مجموعة من الأعضاء والجوارح، وأن لكل عضو وظيفته، كذلك يكون المجتمع، حيث يتألف من أفراده و يقوم كل منهم بوظيفته»[٢١].

وتوجد نظرية أخرى بهذا الشأن لأستاذه محمد حسين الطباطبائي، أُطلق عليها نظرية (الاستخدام)، مفادها: أن الإنسان و بتركيبته الفسيولوجية، قد رُكّب على أساس استخدام غيره في تحقيق حاجاته و إشباعها[٢٢].

وقد تعرض الشهيد مطهري في أحد كتبه (المجتمع و التأريخ) إلى هذه النظرية، التي أطلق عليها (نظرية الانتخاب)، حيث يقول(رحمه الله) بأنها تنظر إلى الإنسان باعتباره خالياً ذاتياً من كل نزعة اجتماعية، وتذهب إلى أن العامل الذي يدفع الكائن البشري إلى الحياة الاجتماعية ليس هو الاضطرار، بل هو الانتخاب، أي أن الإنسان بما يملكه من عقل ومواهب فطرية استنتج أنه يستطيع عن طريق التعاون والمشاركة أن يستفيد بشكلٍ أفضل من مواهب الطبيعة

ويبدو أنه لا يؤيد نظرية أستاذه، ويتمسك بالنظرية الأولى[٢٣]، مستشهداً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[٢٤].

فلسفة الحجاب عند الشهيد مطهري:

ترجع فلسفة الحجاب الإسلامي إلى عدة عوامل، بعضها ذو جانب نفسي، وبعضها ذو جانب أُسري وبعضها ذو بعد اجتماعي وآخر يرتبط برفع قيمة المرأة وعلوّ مستواها، وفيما يلي نذكر هذه العوامل بإيجاز:

١ . ما يرتبط بالجانب النفسي:

إن اختلاط الرجال بالنساء من دون قيود يرفع نسبة الأمراض النفسية، وهذه الحالة جديرة بقلب حالة الجنس إلى عطش روحي وحاجة غير قابلة للإشباع.

فالغريزة الجنسية قوية وعميقة، وجامحة، وكلّما استجاب لها الإنسان يتزداد هيجانها، والتاريخ شاهد على ذلك؛ فإنه يذكر إن من أُبيحت له صنوف الجنس وألوانه، لا يزداد إلا شراهة، حيث يذكر التاريخ أن هارون الرشيد له أكثر من ألف جارية، ويذكر كريستنس في الفصل التاسع من كتابه (إيران والعصر الساساني) انه: لوحظ على رسوم الطاق الأثري صور لثلاثة آلاف امرأة كن لدى الملك الساساني(خسرو برويز) ما يدل على نهمه وشراهته في الجنس، بحيث كان يكتب إلى عماله أوصاف المرأة التي يريدها لأجل إحضارها إليه.

فإن ميل هؤلاء لا يتوقف إلى حدّ ولا يعرف معنى القناعة من هذا الجانب أو من هذا الصنف من المتعة هذا في القديم حيث وسائل الإغراء لم تتطور إلى مستواها، ووسائل التجميل لم ترقَ إلى ما رقت إليه في أيامنا هذه، فكيف بالشاب اليوم المحاط بأنواع أساليب الإغراء وأصناف وسائل التجميل فهل تجده يقتنع بجلسة أو لقاء ؟

ومن جانب آخر فإن من النساء من لا تشبع من لفت أنظار الرجال وامتلاك قلوبهم . نقصد هذا هو حال نوع النساء والحالة المغروسة فيهن غرساً وإلاّ فالمرأة المؤمنة صائنة

لنفسها بعيدة عن إغراء الرجال . وبالتالي كل قلب لا يشبع، وستجد الكل مضطربا وصاحب عقد نفسية.

ونحن هنا نسأل المنصف الرشيد، كم قرأ عن أحوال العاشقين ومدى تصدّع حياة هؤلاء، بحيث لا يروا إلاّ معشوقهم وتنقلب حياتهم إلى انتظار، ولا ينامون الليل ويبقون أُسراء الأوراق والرسائل بسبب أن إحداهن أعجبته في مجلس أو متنزه، وتجد في قلوبهم زحمة معاناة، وهذا كلّه يتحوّل إلى عقد كامنة في النفس, نعم هذا ما يؤديه الاختلاط واللقاء بين الجنسين[٢٥].

٢ . استحكام الروابط الأسرية:

وهذا مرتبط بالجانب الأسري فيعطي الشيخ قاعدة وهي: (إن كل أمر يؤدي إلى الرابطة الأسرية ويفضي إلى خلق روح المودة الصميمة بين الزوجين هو أمر نافع للأسرة ينبغي السعي وراء تحقيقه وديموميته والعكس صحيح، أي كل أمر يؤدي إلى إضعاف العلاقة بين الزوجين وإخماد جذوة الحبّ بينهما أمر مضر بالحياة الأسرية يجب تجنبه)، وهذه القاعدة يقرّ بها الجميع ويدعو لها ولا يشك بها أدنى شك، فإذا اتضح هذا بين الشهيد مطهري قضية وهي: إن اختصاص المتع واللذات الجنسية في محيط الأسرة وتحت ظل الزواج المشروع يعمّق العلاقة بين الزوجين ويؤدي إلى تلاحمهما بشكل أكبر.

ولإثبات ذلك نرجع إلى حياة المجتمعات التي تشيع فيها الإباحة الجنسية، فنجدها بعد التأمل حياة قائمة على التنافر والعداء والمراقبة المستمرة لكلٍّ في الطرفين، فإذا وجد أحدهم خطأ كان سبباً للخيانة بل حتى لو لم يجد خطأ فان الملل لحقيق على الانفصال وبالأخير تتفك الأسرة لانفكاك أهم مقوماتها وهم الأبوان، وإذا انفلتت الأسرة ضاع المجتمع لأنها نواته.

فالعلاقات الحرّة بلا قيد وشرط حوّلت الزواج إلى تكليف يفرّ منه الشباب، لأنه بحسب هذه الثقافة يكون الزواج بداية للتقييد والحرمان أمّا في مثل مجتمعاتنا الملتزمة بحدود الشريعة فان الزواج يكون نهاية للحرمان والانتظار[٢٦].

ومما تقدم في العامل الثاني يتضح العامل الآخر وهو التماسك الاجتماعي، فان الحدود والضوابط تفضي الوقار والرصانة إلى العائلة ثم المجتمع[٢٧].

٣ . رفعة المرأة واحترامها:

وهذا الأمر واضح لدى المتأمل، فالكل يدرك إن وضع الحدود والحواجز بين الرجل والمرأة يعد من الوسائل الغامضة التي تستفيد منها المرأة لحفظ مقامها أمام الرجل، كما يقول الشهيد المطهري(رحمه الله).

ثم يضيف قائلاً: وقد حثّ الإسلام المرأة على الاستفادة من هذه الوسيلة، خصوصاً تأكيده على أنه كلّما تحركت المرأة بشكل أكثر وقاراً وعفّة وامتنعت عن عرض نفسها أمام الرجال أزداد احترامها لدى الرجال، وهذا ما تشير له الآية الشريفة: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ}[٢٨].

فالحجاب يُعزّ المرأة في نظر الرجل وبالتالي لا يتعرضن إلى إيذاء الطائشين وأخفّاء العقول من الناس، فالطائش لا يجرؤ أن ينظر إلى العفيفة، فالعلاقة بين العفاف والتحصّن وبين ازدياد رفعة المرأة وسموّها علاقة طردية، أي كلما أزداد العفاف أزداد الاحترام والعكس بالعكس[٢٩].

عناصر رؤية الشهيد مطهري إلى الإنسان

١ . الحرية

تمثل الحرية ركنا من الأركان التي تبنى عليها نظرة الشهيد مطهري إلى الإنسان وتتجلى الحرية الإنسانية في بعدين:

الأول: البعد التكويني، هو قدرة الإنسان على الاختيار بين الخير والشر وتحمله مسؤولية الأمانة التي أوكلها الله إليه لخلافته في الأرض.

الثاني: بعد الحرية بوصفها ضرورة يجب على النظام الاجتماعي أن يحميها ويرعاها؛ ويصرح بهذه الفكرة في موارد عدة من كتبه منها إصراره في الأيام الأولى من انتصار الثورة أو قبلها بقليل، على قضية الحرية بوصفها ركنا من أركان النظام الجديد، مستندا إلى قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ»[٣٠]، ويخاطب مواطنيه من المسيحيين ويطمئنهم على حقهم في التعبير عن آرائهم دون أن يخشى أحدهم على شيء ولا يكلفهم إلا الصراحة

في التعبير عن أفكارهم وعدم محاولة خداع الناس أو خداع مواطنيهم من المسلمين أو غير المسلمين. ويخاطب الشيوعيين الذين كان خصما صريحا لهم دون أي وجل ويقول إن مشكلتنا معكم ليست شيوعيتكم مشكلتنا معكم أنكم لا تصرحون بمبادئكم، بل تحاولون استغفال الناس وتعرضون أفكاركم باسم الإسلام، بل يذكر بمواقفه في كلية الإلهيات وهو مدرس الفلسفة الإسلامية، عندما كان يطالب بأن يدرس الفلسفةَ الماركسيةَ رجلٌ من أهل الاختصاص ومن الماركسيين الأصليين ويقدم فكره، ثم يدرس هو الفلسفة الإسلامية في مواجهة الماركسية وليتبين الطلاب ما يقنعهم ويملأ عقولهم سواء أكان الإسلام أم الماركسية.

بل يرى أن الحرية شرط للوصول إلى الخيارات الصائبة في مجال العمل السياسي كما في مجال التربية والتنشئة الأسرية، حيث يقول: «في مجال الاجتماع الإنساني تصدق القاعدة نفسها (أي قاعدة ترك الإنسان لتجربة حرية الاختيار) فمن حق الأمة على قياداتها أن يتولوا هدايتها، ولو أَهملت القيادة هذا الواجب لضلَّت الأمة. ولكن في المقابل لو أرادت هذه القيادة أن تسلب حرية الاختيار من الأمة خوفا عليها واعتقادا منها بأن الأمة ليست مؤهلة لممارسة حريتها، حتى لو كان هذا عن حسن نية وحتى لو كان تقييم هذه القيادة للأمة صحيحا، فإن هذه الأمة سوف تبقى إلى الأبد غير مؤهلة ينقصها النضج والرشد السياسي والاجتماعي. في الانتخابات للهيئات والمجالس السياسية والبرلمان أو غيره، لنفرض أن الأمة ليست مؤهلة لاختيار الأصلح، وأراد أحدهم أن يمارس هذا الدور بحسن نية وكان تشخيصه للأصلح دقيقا، لا يصح منه الانتخاب نيابة عن الأمة أو إجبار الأمة على انتخاب من يراه هو الأصلح والطريقة الأصوب، بل الطريقة الصائبة هي أن يدعوَ من يريد الترشح لمنصب ما، الناسَ إلى نفسه ويبقى الناس في حيرة إلى مدة ليقارنوا بين المرشحين ويختاروا الأصلح دون إجبار من أحد، ولو اخترنا الطريقة الأولى حتى لو كان اختيار الأكثر وعيا ونضجا هو الصائب، فإن مثل هذه الأمة غير الرشيدة سوف تبقى غير رشيدة إلى الأبد وسوف تبقى محتاجة إلى من يأخذ بيدها ويختار لها من يمثلها...» [٣١].

٢ . الكرامة الذاتية للإنسان:

يتمتع الإنسان في رؤية الشهيد مطهري له بكرامة ذاتية بأصل الخلقة استنادًا إلى ما أشرنا إليه آنفا من قوله تعالى{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[٣٢] ، وعلى الرغم من إيمانه بأهمية الدين وموقعه في رفع الإنسان إلى الأعلى، وإيمانه العميق بأن الإسلام هو الدين الحق الذي يجب على الإنسان أن يسعى للوصول إليه، وكذلك تمييزه بين حرية المعتقد وحرية الفكر وتسجيله الاعتراض على البيان العالمي لحقوق الإنسان لمساواته بين حرية المعتقد وحرية الفكر[٣٣]، على الرغم من ذلك كله، فإن له مواقف فكرية من الإنسان تكشف عن رؤية متسامحة تعترف للإنسان بكرامته الذاتية حتى لو اختلف في الدين، فضلا عن الاختلاف في العرق أو غيره من أنواع الاختلاف، ومن ذلك موقفه من مصير غير المسلمين في الآخرة في مقام الحديث عن تعريف الكافر، حيث يقسم الشهيد مطهري الكفر إلى نوعين: «كفر على سبيل العناد والجدل ويسمى بكفر الجحود، وكفر عن جهالة وعدم معرفة بالحقيقة، أما بالنسبة إلى الكفر الأول فالأدلة القطعية من عقلية ونقلية تثبت أن الشخص العالم والمطلع على الحقيقة ومع ذلك يعاندها وينكرها فهو مستحق للعقوبة، أما بالنسبة إلى الكفر من النوع الثاني فلابد أن نقول أن الجهالة وعدم المعرفة الناتجة من غير تقصر من قبل المكلف فهي تقع موقع عفو ورحمة الله سبحانه...» [٣٤]، ثم بعد توضيح طويل ينتهي إلى أن الكافر الحقيقي هو من ينكر الحق عن عناد رغم المعرفة به، وبعد نقله لعبارة عن الفيلسوف الفرنسي ديكارت مفادها: إنه يؤمن بالمسيحية بعد أن وجدها أفضل الأديان التي تعرف عليها، ولكنه لا يستطيع القول بأنها الأفضل على الإطلاق وذلك لوجود بعض الأديان التي لا يعرف عنها شيئا ويذكر ديكارت إيران مثالا للبلد التي لا يعرف عن دين أهلها شيئاً.

يعلق الشهيد مطهري على هذه العبارة قائلا: «فأشخاص كديكارت لا يمكن تسميتهم بالكفار؛ لأن هؤلاء لا يتصفون بالعناد ولا يخفون الحق، وليس الكفر إلا العناد وتغطية الحقيقة. هؤلاء مسلمون بالفطرة وإذا كنا لا نستطيع تسميتهم بالمسلمين فنحن أيضا لا

نستطيع تسميتهم بالكافرين؛ وذلك لأن تقابل المسلم والكافر ليس من قبيل تقابل السلب والإيجاب، أو تقابل الملكة وعدمها باصطلاح الفلاسفة والمنطقيين، وإنما هو من قبيل تقابل الضدين؛ لأنهما شيئان وجوديان، وليس أحدهما وجودي والآخر عدمي»[٣٥].

٣ . الحق في العدالة:

يمثل العدل واحدًا من الهموم الفكرية للشهيد مطهري على المستوى العقدي، وكذلك على المستوى الاجتماعي.

أما على المستوى العقدي فتكفي الإشارة إلى كتابه الرائع «العدل الإلهي» الذي يمكن عده بحق أهم ما كتب في العقود الأخيرة في مجال البحث حول العدل الإلهي في مجال علم الكلام، وبما أننا بصدد الحديث عن الإنسان في فكر الشهيد مطهري فسوف ننتقل إلى تصوره للعدالة الاجتماعية.

يرى الشهيد مطهري أن أحد أهم الأركان التي تقوم عليها الدولة الإسلامية هي قضية العدالة الاجتماعية، ويعلن تصوره لها على النحو الآتي: «وبالنسبة لمستقبل ثورتنا الإسلامية إن أهم التحديات التي تواجهنا هي العدالة الاجتماعية، والسؤال الذي يلح على أذهاننا، ولا بد من تحديد الموقف النظري منه هو: ما هو تصورنا للعدالة الاجتماعية؟ وأي معنى نفهم من هذا المصطلح عندما نستخدمه في أدبياتنا الثورية والفكرية؟»[٣٦].

ثم يبدأ بعرض التصور الماركسي للعدالة الاجتماعية، فيرى أن العدالة التي تسعى إليها الماركسية هي عدالة ظاهرية تؤدي إلى تحقيق العدالة من خلال إفراغ جيوب الشعب لمصلحة الغني الأكبر الذي هو الدولة[٣٧].

والنموذج الذي يسترشده الشهيد مطهري في العدالة الاجتماعية هو النموذج العلوي الذي يقوم على قاعدة استفادة الأمة بجميع أفرادها من مصادر الثروة العامة، وهي في ذلك سواء في الحقوق والواجبات في العقوبات والمثوبات، ويختصر تصوره للعدالة باستشهاده بقول أمير المؤمنين عندما ارتقى سدة الخلافة وأعلن برنامجه الإصلاحي المتضمن لمجموعة من

الشعارات أهمها: «وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ; فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!»[٣٨].

الهوامش:

١. ينظر: مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، نشر به انديشان . طهران . ط/١، ١٣٨٧هـ . ش: ص٤.،وأيضا مطهري، مرتضى، الإمداد الغيبي في حياة البشرية، نشر به انديشان . طهران ط/١، ١٣٩٩هـ: ص٤ (مقدمة نجل المؤلف)؛ الأمين، حسن، مستدركات أعين الشيعة، دار التعارف للمطبوعات . بيروت . ط/٢، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م: ج١، ص٢٥٢.

٢. ينظر: مطهري، مرتضى، الانسان والقدر، نشر المشرق للثقافة والنشر . طهران . ط/١، ١٤٢٨هـ.: ص٨.

٣. الديالكتيك: نظرية فلسفية تعتمد التناقض بين الأشياء، وترى أنه سبب الحركة في الكون.

٤. ينظر: الانسان والقدر، مصدر سابق: ص٨ . ١٠.

٥. ينظر: الإمداد الغيبي، مصدر سابق: ص٤ (مقدمة نجل المؤلف).

٦. للوقوف أكثر على مؤلفات الشهيد مطهري، ينظر: المصدر نفسه: ص٨؛ وأيضاً: مطهري، مرتضى، الدوافع نحو المادية، ترجمة محمد علي التسخيري/ دار التعارف للمطبوعات، ط/١، ١٩٩٤ . ١٤١٤هـ : ص١٠ . ١١.

٧. مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية، تعريب: السيد محمد صادق الحسيني، الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٩٢م: ج١، ص١١.

٨. المصدر السابق، ص١١.

٩. المصدر السابق، ص١١ . ١٢.

١٠. المصدر السابق، ص١٢.

١١. انظر: المصدر السابق، ص١٣.

١٢. انظر: المصدر السابق، ص١٤.

١٣. انظر: المصدر السابق، ص١٤. ١٥.

١٤. انظر: المصدر السابق، ص١٥.

١٥.المصدر السابق، ص١٦.

١٦.انظر: المصدر السابق: ص١٦ . ٢٨.

١٧.المصدر السابق: ص٢٢.

١٨.المصدر السابق: ص٢٢ . ٢٣.

١٩.مطهري، مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، نشر دار مدين، ايران . قم ، ط/٢ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م: ص ٥١٦.

٢٠.المصدر السابق ، ص ٥١٦ . ٥١٧ .

٢١.المصدر السابق ، ص٤١٤.

٢٢.انظر: الطباطبائي، محمد حسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، د.ط ، د.ت، نشر المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع: ج١، ص٥٨٠ . ٥٨٤ .

٢٣.انظر: مطهري، مرتضى، المجتمع والتأريخ، ترجمة: مرتضى الحسيني، اصدار: وزارة الإرشاد الإسلامي، ط/١، ١٤٠٢هـ : ص ١٦ . ١٨ .

٢٤.الحجرات / آية ١٣ .

٢٥.انظر: مطهري، مرتضى، مسألة الحجاب، ترجمة جعفر صادق خليلي، نشر آينده درخشان، ايران . قم، ط/٢، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، (بتصرف): ص٧١ . ٧٥.

٢٦.انظر: المصدر السابق: ص٧٦ . ٧٩.

٢٧.انظر: المصدر السابق: ص٧٩ . ٨١.

٢٨.الأحزاب: الآية/٥٩.

٢٩.انظر: مسألة الحجاب، مصدر سابق: ص٨٢.

٣٠.البقرة: الآية/ ٢٦٥.

٣١.مطهري، مرتضى ، قيم النهوض: الحرية العدالة الاستقلال الوطني، ترجمة وتحقيق: محمد حسن زراقط، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠٠٧: ص٤٢ . ٤٣.

٣٢.الإسراء: الآية/ ٧٠.

٣٣.قيم النهوض، مصدر سابق: ص٣٠.

٣٤.مطهري، مرتضى، العدل الإلهي، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، بيروت، دار التعارف، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م: ص٣٣٠. ٣٣١.

٣٥.المصدر السابق: ص٣٣٥. ٣٣٦.

٣٦.قيم النهوض، مصدر سابق: ص٧٥.

٣٧.انظر: المصدر نفسه: ص٧٧.

٣٨.نهج البلاغة (شرح محمد عبده)، نشر دار الذخائر، ايران . قم، ط/١، ١٤١٢هـ ، الخطبة ١٥: ج١، ص٤٦.

المصـــــادر:

*** القرآن الكريم:**

١. الأمين، حسن، مستدركات أعين الشيعة، دار التعارف للمطبوعات . بيروت . ط/٢، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

٢. الطباطبائي، محمد حسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، د.ط ، د.ت، نشر المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع.

٣. مطهري، مرتضى ، قيم النهوض: الحرية العدالة الاستقلال الوطني، ترجمة وتحقيق: محمد حسن زراقط، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠٠٧.

٤. مطهري، مرتضى، الإمداد الغيبي في حياة البشرية، نشر به انديشان . طهران . ط/١، ١٣٩٩هـ .

٥. مطهري، مرتضى، الانسان والقدر، نشر المشرق للثقافة والنشر . طهران . ط/١، ١٤٢٨هـ.

٦. مطهري، مرتضى، الدوافع نحو المادية، ترجمة محمد علي التسخيري/ دار التعارف للمطبوعات، ط/١، ١٩٩٤ . ١٤١٤هـ .

٧. مطهري، مرتضى، العدل الإلهي، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، بيروت، دار التعارف، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

٨. مطهري، مرتضى، المجتمع والتأريخ، ترجمة: مرتضى الحسيني، نشر وزارة الإرشاد الإسلامي، ط/١، ١٤٠٢هـ .

٩. مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية، نشر الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٩٢م.
١٠. مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، نشر به انديشان . طهران . ط/١، ١٣٨٧هـ ش.
١١. مطهري، مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، نشر دار مدين، ايران . قم ، ط/٢ ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
١٢. مطهري، مرتضى، مسألة الحجاب، ترجمة جعفر صادق خليلي، نشر آينده درخشان، ايران . قم، ط/٢، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م.
١٣. نهج البلاغة (محمد عبده)، نشر دار الذخائر، ايران . قم، ط/١، ١٤١٢هـ ، خطبة ١٥.